من مكارم الأخلاق

الأمانة واجتناب الخيانة - ٢

الأمانة..

كم هو ثقيل على النفس أداؤها لأنها دائما مخالفة للهوى، ولذلك عظم الله تعالى شأنها في القرآن الكريم. الأمانة في حقيقة الأمر امتثال لطاعة الله واجتناب لمحارمه، فى حال السر والخفية، كما فى حال العلانية، وأنه تعالى عند عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال ، عرض تخير ليس فيه أى إجبار أبين أن يحملنها وأشفقن منها خوفا ألا يقمن بما حملن، لا عصيانا لربهن، ولا زهدا فى ثوابه، وعندما عرضها الله جل وعز على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور، قبلها، وحملها مع جهله بحقيقة ثقلها، وحمل هذا الحمل الثقيل . كما قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ الأحزاب: ٢٧

ولذلك تعددت آيات الله الكريمة التى تأمرنا بأداء الأمانة وتحذرنا من الخيانة فى القول والعمل والحياة الأسرية والزوجية والعرض والشرف والمال والأمانة فى معناها هى كل ما يؤتمن عليه المرء من أمر ونهى وشأن دين ودنيا والشرع كله أمانة.

والعديد من الآيات الكريمة أمرت بأداء الأمانة مثل قول الله عز من قائل:

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ البقرة: ٢٨٣

وفى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ النساء:٥٨

أما الأنبياء والرسل فهم أمناء الله فى أرضه على شرائعه ودينه لذلك كانت الأمانة واجبة لهم كما قال هود عليه السلام ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ الأعراف:٦٨

وكما قالت ابنة شعيب عليه السلام فى وصف موسى عليه السلام حيث قالت:

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ القصص:٢٦

والأمانة ليست مقصورة على الملائكة والأنبياء والرسل حتى الجن منهم من هو أمين وغير أمين كما قال أحد العفاريت المسخرين لنبى الله سليمان عليه السلام عندما طلب احضار عرش الملكة بلقيس قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ النمل ٣٩

وإذا كان الملائكة قائمين بأدائها على وجهها الكامل لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فقد نال المؤمنون من الإنس القائمون بالأمانة والذين يتحلون بها عظيم الثناء والثواب من الله سبحانه وتعالى .

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ التكوير١٩ . ٢١ الخيانة:

وقد كان تحذير القرآن الكريم من الخيانة شديدا فى آيات كثيرة منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ الأنفال:٢٧

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ الأنفال: ٥٨

وقد قرن الله تعالى هذه الصفة بالكافرين فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ الحج: ٣٨

كما اقترنت تلك الصفة بالإثم قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ النساء : ١٠٧

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر: «إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيه».

عن أنس قال: «قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له».

أمانة البلد (مكة المكرمة)

حتى البلد لم يسلم من كونه بلدا أمين أو غير أمين.

فقد أقسم الله تعالى فى سورة التين بمكة بقوله جل شأنه ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ التين: ٣

وعنيت السنة النبوية بفضل الأمانة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الأمانة غنى»: أى أنها سبب غنى الانسان الذى عرف عنه الأمانة فيقبل عليه فيصير ذلك سبب غناه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم «أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة فى طعمة».

فانظر كيف جعل فضيلة الأمانة طليعة لتلك الفضائل الأربع، وطلب النبى من كل مسلم أن يرعى الأمانة ويتحلى بها مع الناس فقال صلى الله عليه وسلم: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك».

وكذلك أمانة النصيحة والاستشارة أن يكون أمينا في نصحه فقال صلى الله عليه وسلم (من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه).

■■■

التحذير من تضييع الأمانة:

وتحذر السنة النبوية تحذيرا رادعا من تضييع الأمانة، فعندما مر النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يبيع برا (قمحا) فوضع يده الكريمة داخل القمح فوجد بللا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ فأجابه: اصابته السماء يا رسول الله. فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا.

وقال الرسول تخويفا وترهيبا من ضياع الأمانة وقرنها بقيام الساعة بل وجعلها علامة من علامات القيامة، لهول عاقبة ضياعها في المجتمع وبأنها حين تضيع تختل أمور المجتمع ويفسد العالم فقال: إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قيل كيف إضاعتها يا رسول الله..؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة.. وذكر من علامات يوم القيامة أن يتخذ الناس الأمانة مغنما، أى يضيعونها فى سبيل أهوائهم، فيرى من كانت فى يده أمانه خيانتها غنيمة قد حصل عليها فيقول صلى الله عليه وسلم: «لا تزال أمتى على الفطرة ما لم يتخذوا الأمانة مغنما والزكاة مغرما» والرسول جعل الخيانة إحدى صفات المنافق الأثيم فقال «إذا اؤتمن خان»

■■■

كما أن هناك الأمانة الزوجية. ليست الأمانة الزوجية مقصورة على حفظ المال والعرض ورعاية الأطفال وإنما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، الرجل يفضى إلى أمرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها» فأمانة الحياة الزوجية تتحقق بكتمان حوائجهما وعدم الحديث والخوض فى أسرارهما.

وكذلك الأمانة في التجارة والكيل والميزان وأمانة الحديث وحفظ أسرار الآخرين وعدم التجسس عليهم وتتبع عوراتهم. ولذلك قال سفيان بن عيينه: من لم يكن له رأس مال فليتخذ الأمانة رأس ماله.وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: «أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة».

ووعن أبى هريرة قال: (أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة فسلوها الله)

وأخطر ما فى الأمانة هى أمانة الولاية.

فمن الأمانة في الولاية تأدية الحقوق إلى أهلها، واسناد الأعمال إلى مستحقيها الأكفاء لها، فهى أعظمها مسئولية الولاية العامة فالرئيس الأعلى فى الدولة أمين على الأمة كلها على مصالحها الدينية ومصالحها الدنيوية.

د.أميمة خفاجي

أستاذ مساعد الهندسة الوراثية

جامعة قناة السويس